

الأساس في الطب النفسي: الافتراضات الأساسية

الفصل السابع



2023

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

المفهرس

- 5 العدد 3535- مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري (1)
- 11 العدد 3536- مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري (2)
- العدد 3542- مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري (3)
- 17 منذ نصف قرن 1968: من كتاب "عندما يتعري الإنسان" عن الطاقة، والحافة
المفتروية
- العدد: 3543- مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري (4)
- 21 من كتاب "عندما يتعري الإنسان": منذ نصف قرن (3)
مُعجم الألفاظ الجاهز وخوف الأهل من القادم المهكّد
- العدد: 3544 - مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري،
26 منذ نصف قرن 1968: من كتاب "عندما يتعري الإنسان"
عقار اسمه "إنسانيتكو (Insayettco)!!"
(من الكتابة الثانية: كورسي على مجل)
- العدد: 3549 - مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري،
34 منذ نصف قرن 1968: من كتاب "عندما يتعري الإنسان"
من حكاية "في القفص"

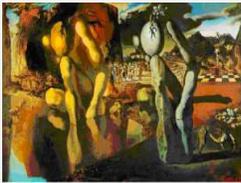
- العدد: 3550 - مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري،
40 منذ نصف قرن 1968: من كتاب "عندما يتعمر الإنسان"
من حكاية "في القفص (2)"
- العدد: 3551 - مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري،
46 منذ نصف قرن 1968: من كتاب "عندما يتعمر الإنسان"
من حكاية "في القفص (3)"
- العدد: 3556 - إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري،
54 منذ نصف قرن 1968: مقتطفات من كتاب "عندما يتعمر الإنسان"
من حكاية: "الشعلة والحريق"
- العدد: 3557 - إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري،
60 منذ نصف قرن 1968: مقتطفات من كتاب "عندما يتعمر الإنسان"
- العدد: 3558 - إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري،
69 منذ نصف قرن 1968: مقتطفات من كتاب "عندما يتعمر الإنسان"
من حكاية: "الشعلة والحريق"
مزيد من المقتطفات: من حكاية: "العلامة"

العدد 3535- مقتطفات: إرهاصات الطب النفسي الإيقاعي الحيوي التطوري (1)

مقدمة:

.....

أثناء مراجعتي لهذا العمل - عندما يتعري الإنسان - الذي كتبته منذ خمسين عاما لإعداد الطبعة الرابعة، اكتشفت-كما ذكرت الأسبوع الماضي وما قبله-



اكتشفت الأساس الصلب الذي كان وما زال راسخا في عمق وجداني المعرفي عن الإنسان وتطوره، وبدرجة أقل عن الإيقاع الحيوي، ومن واقع الحوار المباشر بين الفتى (الذي عبر خبرة المرضى وراح يحاور الحكيم والطبيب)، وأيضا ما لاح في الحوارات الكاشفة بين المرضى والطبيب (الحكيم) الذي يمثل الموقف الشامل لهذا النوع التطبيب.

قلت أو اصل اقتطاف ما يخص المفاهيم الأساسية التي تُظهر غور فكرة التطور بهذه الصورة الحوارية المباشرة البعيدة عن التنظير والتفكير، وفي نفس الوقت أحقق ما وعدتُ به من التدخل بأقل قدر من التعقيب لتوفير للوقت لإنجاز إصدار أعمالِي في صورتها الورقية.

المقتطف الأول) _من فصل: "في القفص" بين الفتى (المحاور) والحكيم

.....

قال الحكيم:

ألم أقل لك إنك تتعلم الحكمة بأسرع مما حسبت، حتى أكاد أراك سبقتني إلى معرفة جوهر الأشياء، أراك تقترب من حقيقة الإنسان بأمانة سوف تجلي بصيرتك، وأكاد أتصورك بعد تجربة مرصك تساهم في مسيرة الإنسان على طريق تطوره

قال الحكيم:

ألم أقل لك إنك تتعلم الحكمة بأسرع مما حسبت، حتى أكاد أراك سبقتني إلى معرفة جوهر الأشياء، أراك تقترب من حقيقة الإنسان بأمانة سوف تجلى بصيرتك، وأكاد أتصورك بعد تجربة مرضك تساهم في مسيرة الإنسان على طريق تطوره.

المقتطف الثاني (من فصل: "الشعلة والحريق") بين المريض والطبيب (الحكيم)

.....

قال الحكيم:

- التناقض هو من قوانين الحياة وهو المحرك الأول في تطور الانسان واستمرار الحياة

قال المريض (!!!):

- آه...!! تطور الإنسان؟! أنت تحلم كما كنت أحلم وأنا صغير، يبدو أنك لم تنضج بعد يا دكتور، كيف تقف هذا الموقف وقد شاب المتبقى من شعرك على صلعتك؟ سأعلمك أنا معنى التناقض والنضج: التناقض الجارى هو أن تؤمن حتى تكفر، أن تحب حتى تكره، أن تتحمس حتى تتبدل، أن تصرخ حتى ينحبس صوتك، أن تكبر حتى تموت.. هذا هو التناقض.. أما النضج المعروض فهو أن تتشكل وتتلون لتتكيف مع كل زيف حولك، ما علينا .

المقتطف الثالث (من فصل: "الشعلة والحريق")

(منطق المرض: وقبول التحدى)

.....

قال الرجل:

... ولكن قل لى يا دكتور هل تؤمن أنت بشيء، أم أنك تترتق مثل سائر الكهنة المرتزقة من احتراف مهنة ما.. طبعاً أنت مرتزق، هذا واضح، ولكن هذا لا يمنع من السؤال: هل تؤمن بشيء؟

سأعلمك أنا معنى التناقض والنضج: التناقض الجارى هو أن تؤمن حتى تكفر، أن تحب حتى تكره، أن تتحمس حتى تتبدل، أن تصرخ حتى ينحبس صوتك، أن تكبر حتى تموت.. هذا هو التناقض

أما النضج المعروض فهو أن تتشكل وتتلون لتتكيف مع كل زيف حولك، ما علينا

- أنا لا أصلح لهذا العمل إن لم أؤمن.

- وبماذا تؤمن؟

- أؤمن بالحياة تتحرك نحو غايتها، أؤمن بالإنسان وسلامة توجهه،.. أؤمن بقدرته على التطور والإبداع، وعلى التجديد فيما عنده، أؤمن بالسعى الممتد إلى ما بعده إليه.

- يا سبحان الله.. يظهر أنه لا بد أن تسير طريقى كله حتى تكفر بكل هذا.. أنت تتفرج على الناس من فوق كرسيك هذا وتتشدق بالألفاظ، ولكنك لا تعيشها مثلما فعلت أنا، ولكن قل لى بالله عليك كيف تحتفظ بإيمانك هذا وأنت ترى الفشل تلو الفشل فى صورتنا نحن المرضى.. ألا نبيئسك فى حياتك وآمالك حين نفشل ونستسلم؟ هل مازلت ترى نبض الإنسان وراء حطام مثل هذا الجسد الحى الميت أمامك: "أنا"؟.

- إن ما حافظ على إيمانى هذا هو قدرة الإنسان الخارقة على أن يجمع شتات نفسه رغم كل شىء وبعد كل شىء... إن مازاد إيمانى بالإنسان هو رؤيتى له عاريا يصارع الزيف بالألم، نعم بل هو يصارعه حتى بالمرض.. إذا عبّره وانتصر.. "أنت" "أنت" الذى حافظت على إيمانى هذا.

.....

المقتطف الرابع: تكلمة الحوار من فصل: "الشعلة والحريق..."

.....

قال الحكيم (الطبيب)

"...إن المرض رفض، والرفض لا يثمر إلا بقيام الثورة وأنا أقف بجوارك لنكمل الطريق .. فالثورة لا تكون ثورة إلا بعد تحقيقها، وإلا فهى محاولات مجهضة فى الظلام. لا يخرج منها إلا مسخ ناقص النمو.

- عليك نور.. أنا المسخ ناقص النمو أنا المسخ المشوه.

- ولكن هذا التشوه الذى يظهر عليك مرحلى وسطحى، أما جوهرك فهو هو، وإلا

ما مرضت، المرض يصبح نعمة حين تخرج منه أصلب عودا، وأقدر على الاستمرار.

أؤمن بالحياة تتحرك نحو

غايتها، أؤمن بالإنسان

وسلامة توجهه... أؤمن

بقدرته على التطور

والإبداع، وعلى التجديد

فيما عنده، أؤمن بالسعى

الممتد إلى ما بعده إليه

إن ما حافظ على إيمانى هذا

هو قدرة الإنسان الخارقة

على أن يجمع شتات نفسه

رغم كل شىء وبعد كل

شىء... إن مازاد إيمانى

بالإنسان هو رؤيتى له عاريا

يصارع الزيف بالألم، نعم بل

هو يصارعه حتى بالمرض..

إذا عبّره وانتصر

- أنا الآن عار من المبادئ، ومن الألفاظ، ومن المعاني، ومن الحياة، فما حيلتك فيّ؟! .
- ولكنك مازلت تائراً .
- لا .. لا..، كله إلا هذا.. كفاني ثورة
- بل أنت تائر على تصور فشل الثورة، لذلك فأنت ترتدى مظهر الاستسلام.. ومازلت الجمرة فيك وبك.
- لا تحاول أن تبعث فيها الحياة.. لقد انطفأت الشموع جميعا وعم الظلام.
- الشموع قد تنطفىء، والجمره قد يعلوها الرماد، ولكنها متقدة في داخلك.
- لا ترسل نسيم ألفاظك إلى حيث لا تعلم، فإنها لو أشعلت الجمره من جديد فلا أحد يعرف كيف سأنفجر، سأتحطم تماما وقد أحطمك معي.. ألا تسمع عن المرضى الذين يقتلون.. أنا أشعر الآن بالطريق إلى ذلك، إن هذا يحدث من إعادة اشعال هذه الجمره، إياك أن تقترب منها داخل أيّ منا، دعه يكتوى بنارها المتسحّية تحت الرماد حولها حتى يحترق ويموت.
- إذن فهناك جمره.
- تحترق.. فهيا ساعدها بعقاقيرك المهدئة العظيمة لتتنطفئ إلى رماد.. أرجوك لا تهيجها بألفاظك المثيرة.
- بل العقاقير تهدئها مرحليا حتى تصبح طاقة قادرة على الاستمرار.
- وماذا بقي منى حتى أستمر؟
- كل هذه الخبرات لابد أن تتجمع.. وتعود إلى حياتك العادية، لتجعل العالم كله غير عادى.. بالتطور والعمل والاستمرار.
- ولكنى فشلت.. فلماذا التطور، هذه كلمة خبيثة خادعة، يبدو أن التطور هو خدعة تاريخية
- ليس تماما، وبالذات بعد خبرتك هذه
- ولماذا أنا بالذات؟

قال الحكيم (الطبيب)

....”إن المرض رفض،

والرفض لا يثمر إلا بقاء

الثورة وأنا أقف بجوارك

لنكمل الطريق .. فالثورة لا

تكون ثورة إلا بعد

تحقيقها، وإلا فهي محاولة

مبمضة في الظلام. لا يخرج

منها إلا مسخ ناقص النمو.

العلم الخبيث خليق أن يشوه

كل شيء، أن يعطى رقما

رمزيا أو إسما تشخيصيا لكل

نبض إنسانى، حتى لو كان

نبيا

- لأنك مرضت، إذن فقوتك الداخلية أكبر من سائر البشر، إذن فأنت تحمل رسالة التطور.

- وهذه الرسائل التي آمنت بها حتى كفرت، ألم تكن وسيلة للتطور.

- لو صحّ تطبيقها قد تكون كذلك ، لكن القائمين عليها لم يعرفوا عمق جوهرها

- إذن لماذا احترقت بناها وشككت في كل شيء.. على فكرة أنا أشك فيك.

- هذا بديهي.

- وأرى خيالات وصورا وأشياء كثيرة من حولي.

- مثل ماذا؟

- أرى أفلاطون وأرسطو وبعض الأنبياء، أى والله أحيانا أعيش فى جمهورية أفلاطون، وأحيانا أنام فى غار حراء.. ما أجمل كل هذا رغم كل شيء...، أن تعيش مع هؤلاء الذين استمروا ليغيروا العالم دون أن يمرضوا، ولا أن ينهاروا، ولكن من يدري؟ لعله لو كان هناك أيامها طب نفسى كنتم قلتهم أنهم مرضى.. كل شئ جائز، فالعلم الخبيث خليق أن يشوه كل شئ، أن يعطى رقما رمزيا أو إسمًا تشخيصيا لكل نبض إنسانى، حتى لو كان نبيا، على فكرة.. ما اسم مرضى؟

- ليس لمرضك اسم.

- طبعا... تخفيه لأنه الجنون.. فما معنى الجنون؟

- أنا لا أعرف معنى لهذا اللفظ... ولكن ما أنت فيه هو أزمة التطور..أما

ما يسمونه جنونا فأنا لا أعرفه إلا حين تتم الهزيمة الكاملة.

- ولكنى هزمت نفسى... فعلا.

- ليس بعد

- إذن ماذا؟

بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أديت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا، انطلاقا من الآن: نحو الغد، وهكذا

- لا بديل للاستمرار
- فما تفسير هذا الفشل كله؟
- لقد نسيت أن تطور الانسان يحتاج لآلاف السنين.
- إذن لا بد أن أعيش آلاف السنين حتى التطور.
- بل بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أدت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا، انطلاقا من الآن: نحو الغد، وهكذا.

الأساس في الطب النفسي: الافتراضات الأساسية

الفصل السابع





جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2023

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

